صيانة المواقع الأثرية في عانه

بقلم : كمال منصور عبادة
معاون أمين متحف

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) معنى كلمة (عانه) :

ينبغي قبل أن نبحث في أعمال الصيانة الاثرية التي قامت بها المديرية العامة للآثار في مدينة عانه أن نحدد بايجاز معنى كلمة (عانه) وموقعها من أرض العراق ، بقدر ما وصلنا من نصوص تاريخية وأثرية •

فيما وصلنا من الكتابات المسمارية المدونة على الطين ان كلمة (عانه) وردت بهيئة (خانات) "Kha-na-at" ، ويشير موسيل[1] في نص من نصوصه ان عانه كانت مركزا مهما من مراكز الدولة الآشورية في أعالي الفرات ، حيث كانت معسكرا من معسكرات هذه الدولة ، التي أنشأها الملك الآشوري (توكولتي نورتا الثاني ، ٨٨٩ - ٨٨٤ ق٠م) ليكون معسكرا مهماً في طريق الجيوش الآشورية ويبدو انه كان المعسكر السابع والعشرين في المنطقة التي كانت تعرف في زمن الدولة الآشورية باسم (سوخي) وأرض سوخي تقع قبل مدينة عانه التي نحن بصدد البحث عنها •

ووردت الكلمة أيضا بلفظة (أنائا) بالكتابات الاغريقية ، و (آنات) بالكتابة التدمرية و (عاناث) بالسريانية و (عانات) باللغة الآرامية ،

(١) Musil (Alois), The Middle Euphrates, New York 1927, p. 203 ff.

إذ تعني بهذه اللغة (بيت المعز)[٢] .

ويذكر ياقوت في معجم بلدانه ان (عانه) تعني جماعة من حمر الوحش وتُجمع (عونا وعانات)[٣] ويظهر من هـذا النص ان حمر الوحش والغزلان كانت تجوب سهول ووديان منطقة عانه حيث الماء ، والكلأ والعشب الذي يكثر عادة في أوقات الربيع في منطقة عانه وما جاورها ، وكذلك الكروم وأنواع الأعناب الاخرى حيث اشتهرت في العصور الاسلامية المتقدمة بخمرتها الجيدة[٤] .

ويعتري اسم عـانه على ما يظهر لنـا بعض الغموض « ولا يُعلم معنى اسم عانه على الوجه الدقيق ، وهل له صلة بأسماء آلهة عبـدها الساميون في بلاد الشام . وهل ان هذه الآلهة كانت قرينة الاله السامي (أيل)[٥] . »

الواقع ان هذه الاسئلة بحاجة الى بحث أثري تاريخي يستند الى نصـوص كثـيرة نفتقر اليهـا ، ومع هذا فان كلمة عانه ستبقى معلقـة حتى تمدنا الحفريات الاثرية بنصوص تحل لنا أصل هذه الكلمة .

(٢) أين تقع عانه من أرض العراق :

تقع عانه على الضفـة الغربية لشـاطيء الفرات الاعلى ، وتبعـد عن بغداد بنحو ٣٠٨ كيلومترات الى الشمال الغربي منها .

وأما طبوغرافيتها ، فأرض عانه محصورة بين نهر الفرات وبين مجموعة التلول المخيمة على ضفة النهر ، وتزدحم في هذه المنطقة أشـجار النخيل والفاكهة ، وتتبع عانه منطقة قديمة تعرف باسم جزيرة (لباد) ، وأرض المنطقة على العموم تلول تتخللها بعض الوديان الضيقـة التي تحيط بها من الجهتين الغربية والشرقية وتؤلف منطقة منيعة بحكم موقعها وطبيعة أرضها ، فهي قريبـة من بادية الجزيرة المحصورة بين نهري دجلـة والفرات ، وقريبة من بلاد الشام من الناحيـة الغربية،ويعتبر موضعها منالمناطق «الاستراتيجية» أو الحيوية المهمة ، حيث يؤدي موقعها الى جميع الجهات ، وقد ذكرها (أسيدور الكرخي) بأنها مرحلة مهمة على الفرات بين المنازل الفرثية[٦].

ولأهمية المنطقة بمكان بنى (مُعين) أحد امراء المنـاذرة ديرا ترهب به لفترة تقـدر بسبع سنوات ، ذلك في عهد الملك الساساني سـابور الثاني (٣٠٩ – ٣٧٩م) . ولاهمية المنطقةوموقعها الحصين مرّ بها القائد الروماني تراجان سـنة (١١٥م) . ويبدو أن جوليان كان قد حاصر

---

(٢) تافرنيه : العراق في القرن السـابع عشـر ، ص ١٦٤ ترجمة بشـير فرنسيس وكوركيس عواد .

The Encyclopaedia of Islam, New Edition, vol. I, p. 461.
(S.H. Longrigg)

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، مادة عانه ، جـ ٦ ص ١٠٢ ، طبع القاهرة ١٩٠٦ .

(٤) البكري : معجم ما استعجم ، ص ٩١٤ ، طبع القاهرة ١٩٤٩ .
ياقوت : معجم البلدان ، مادة عانه ، جـ ٦ ص ١٠٢ ، طبع القاهرة ١٩٠٦ .

(٥) طه باقر وفؤاد سفر : المرشد الى مواطن الاثار والحضارة ، الرحلة الاولى ، ص ٢١ ، طبع وزارة الثقافة والاعلام – بغداد سنة ١٩٦٢

(٦) اسيدور الكرخي : المنازل الفرثيـة ترجمة فؤاد سـفر ، سومر ، مجلـد ٢ ص ١٦٥–١٧٨ .

منطقة عانه سنة (٣٦٣م)[٧] وقد وجد صعوبة في فتحها اذ لم يتمكن من التغلب والسيطرة على عانه الا بحيل الحرب فدخلها وأحرق قلعتها ، وكذلك حاول (ورامس) البيزنطي سنة (٥٩١م) محاصرة عانه ، وتدلنا هذه الاخبار التاريخية على ان عانه تؤلف منطقة حصينة منيعة كما ذكرت آنفا .

وقد تناول المؤرخون العرب بلدة عانه ووصفوها وصفا جغرافيا دقيقا ، منهم ابن حوقل حيث ذكر في كتابه صورة الارض مدينة عانه ، اذ يقول : « انها مدينة في جزيرة قد أحاط بها الماء ، وقرية حسنة »[٨] .

وان ملوك الدولة الساسانية وعلى رأسهم سابور ذو الاكتاف لم يحصنوا مدينة عانه لأنها حصينة بطبيعتها ويبدو انهم قد شقوا خندقا يبدأ من هيت وينتهي الى كاظمة على الخليج العربي في الجنوب ، وكان هذا الخندق يوازي نهر الفرات من ضفته اليمنى ، أما السبب في عمل هذا الخندق فهو لمنع أهل البادية من الاغارة على أرض العراق ، ويقول ياقوت في معجم بلدانه أيضا ، ان « الملك انوشروان بلغه ان جماعات من الاعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بآلوس كان سابور ذو الاكتاف قد بناها وجعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية ، وأمر بحفر خندق من هيت يشق طف البادية الى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ الى البحر وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعا لاهل البادية عن السواد فخرجت هيت وعانه بسبب ذلك عن السور عن طسوج شاذ فيروز لان عانات كانت قرى مضمومة الى هيت »[٩] وهذا ما يؤيد وجهة نظرنا في ان عانه وما جاورها كانت منطقة حصينة .

وفيما وصلنا من نصوص المؤرخين ان خالداً بن الوليد كان قد مرّ عليها وهو في طريقه الى بلاد الشام لنجدة الجيش العربي بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ، ويبدو أنه قد حاصرها وحاول فتحها ، يقول صاحب كتاب الخراج[١٠]: « وقد كان مرّ ـ خالد بن الوليد ـ ببلاد عانات فخرج اليه بطريقها فطلب الصلح فصالحه وأعطاه ما أراد على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاؤا في ليل أو نهار ، الا في أوقات الصلوات وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم ، واشترط عليهم أن يضيفوا المسلمين ثلاثة أيام ويبذرقوهم[١١] ، وكتب بينهم وبينه كتاب

(٧) ويذكر موسيل ان الامبراطور الروماني جوليان كان قد حاصرها سنة (٣٦٣م) واحرقها وهرب اهلها منها ، ويبدو ان سفن ذلك الامبراطور قد غرق قسم منها لاصطدامها بموانع حجرية في نهر الفرات .

Musil (Alois), The Middle Euphrates, New York 1927, pp. 334-45.

وساجدة العزي ـ بلدة عانة ومنارتها الاثرية ، مجلة سومر ، مجلد ١٧ ، ١٩٦١ ص ١٩٧ وما بعدها .

(٨) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٠٧ .

(٩) ياقوت : معجم البلدان ، مادة عانه ، ص ١٠٢ فما بعدها .

(١٠) ابو يوسف : كتاب الخراج ص ١٧٥ ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .

(١١) البذرقة : الخفارة ، والمبذوق : الخفير .

الصلح ، وخرج منهم عدة أولاد فأخذوا على النقيب والكوائل فصالحوه على مثل ما صالحه عليه أهل عانات وجرى الصلح بينهم وكتب بينه وبينهم الكتاب على ذلك» . ويذكر الشابشتي ان لعانه ديرا شهيرا يعرف بدير ماسرجيس ، ويبدو انه كان ديرا حسنا يكثر فيه الرهبان ويقصده الناس من هيت وغيرها للنزهة والطرب والتفرج[١٢] .

ولما كان موقع عانه قريبا من أراضي بلاد الشام ، وكانت الشام تحت الحكم الاموي ، فالضرورة تحتم أن تتبع عانه بلاد الشام ، ثم ان اهلها وقفوا وقفة المعارض من قضية الامام علي (رض) ومعاوية بن أبي سفيان ، يقول الطبري : « قال أبو مخنف فحدثني خالد بن قطن الحارثي ان عليا لما قطع الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هاني فسرحهما أمامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكوفة ، قال وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة أخذ على شاطيء الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات فبلغهما ان معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال علي ... فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات وحبسوا عنهم السفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ثم لحقوا عليا بقرية دون قرقيسيا وقد أرادوا أهل عانات فتحصنوا وفروا ... »[١٣] .

وفي عهد الحكم العباسي كانت عانه خاضعة لحكم هذه الدولة ، وكان المتوكل قد ضمها الى ولده المنتصر مع المقاطعات الاخرى بما فيها الثغور الشامية والجزيرة وديار مصر وربيعة والموصل وهيت والانبار والخابور وكذلك افريقيا والمغرب[١٤] .

واستخدمت عانه فيما بعد معتقلا من المعتقلات السياسية لبعد المنطقة عن العاصمة بغداد ، ولطبيعة موقعها الحصين ، ويذكر القزويني[١٥] امر اعتقال القائم بامر الله من قبل البساسيري حيث يقول : « وأهل بغداد اذ شاهدوا ظلما قالوا الخليفة اذن في عانه لان البساسيري استولى على بغداد وحمل القائم بامر الله الى عانه[١٦] » .

ثم خضعت الى بلك بن بهرام ، يقول ابن الاثير في حوادث سنة ٤٩٧هـ في المحرم استولى بلك بن بهرام بن ارتق وهو ابن اخي ايلغازى

---

(١٢) الشابشتي : الديارات ، ص ١٤٧ فما بعدها .

(١٣) الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ص ٣٢٦ فما بعدها ، حوادث سنة ٣٦هـ، طبع بريل ١٨٩٨ .

(١٤) ابن الاثير ـ الكامل ، جـ ٧ ص ٣٣ ، حوادث سنة ٢٣٥هـ ، طبع بريل ١٨٦٥م .

(١٥) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) : آثار البلاد واخبار العباد ص ٤١٨، طبع بيروت ١٣٨٠هـ .

(١٦) دائرة المعارف ، تأليف المعلم بطرس البستاني ، المجلد الخامس ص ٤١٠ـ٤١٢ ، بيروت ١٨٨١م ، تذكر (هو ابو الحارث ارسلان بن عبدالله البساسيري التركي ، مقدم الاتراك ببغداد وهو الذى خرج على القائم بامر الله ببغداد بعد ان قدمه على جميع الاتراك وقلده الامور بأسرها وأمر بذكر اسمه من فوق المنابر في العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته الملوك فأخرج القائم من بغداد وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر ثم اتى طغرل بك السلجوقي وقتله واعاد القائم ... سنة ٤٥١ هـ) .

بن ارتق على مدينة عانه والحديثة ، وكان له مدينة سروج فاخذها الفرنج منه فسار عنها الى عانه واخذها بنو يعيش بن عيسى بن خلاط »[١٧] .

ثم خضعت عانه للحكم الاتابكي « وسيّر أتابك زنكي عسكرا الى مدينة عانه فملكوها »[١٨] .

وقد لفتت مدينة عانه أنظار الرحالة الاجانب في أثناء تجوالهم في بلدان الشرق الادنى وتكلموا عن موقعها وطبيعة أرضها، منهم الرحالة الانكليزية (المس بل)[١٩] وقد مرت بها في عام ١٩٠٨ وتكلمت عن جزيرتها الحصينة وما تحتويها من آثار وأشجار نخيل وفاكهة ، ثم وصفت بيوتها وبعض خرائبها القديمة وآثارها البارزة وعلى رأسها مئذنة عانه الشهيرة حيث تناولتها بالوصف الدقيق على ما سنفصل فيما بعد .

وتناول الباحثان ساره Sarra وهرتسفيلد Herzfeld تلك المدينة ووصفوها وصفا أثريا حيث ذكروا انها تحوي مستوطنا أثرية قديمة ، وذكروا مدرتها التاريخية وسجلوا لها صورا ومخططات مهمة[٢٠] .

(٣) مئذنة عانه وصيانتها الاثرية :

من الآثار الاسلامية الباقية في مدينة عانه مئذنتها المشهورة ، وتقع هذه المئذنة كما سبقت الاشارة اليها فيما تقدم في جزيرة لباد المعروفة بجزيرة اقلعة الواقعة وسط الفرات أمام بلدة عانه الحالية ، والحق ان مئذنة عانه تعد من فرائد المآذن التي وصلتنا من آثار العراق ، اذ تتميز بشكلها الفريد وبنائها الغريب ، حيث ان شكلها مثمن على قاعدة مكعبة مشيدة بكسر من الحجر والجص من اساسها الى قمتها ، بينما مآذن العراق جميعها تقريبا مشيدة بالآجر ، لان الآجر مادة بنائية متوفرة في أرض العراق وكذلك الجص ، حيث يمكن رفع المآذن وتكوينها بشكل اسطواني، ولأن الاجر مادة طيعة سهلة في الصنعة والعمل ، بينما الحجر مادة صلبة نادرة الوجود في بعض الاماكن ومتوفرة في الاماكن الاخرى ، ولا يمكن بها رفع البناء على شكل اسطواني الا بصعوبة بالغة ، وعلى هذا فمئذنة عانه قد شذت عن باقي المآذن العراقية الاخرى من ناحية البناء والتصميم والشكل . أما عن تاريخها فيعتريه بعض الغموض ، وقد حاول بعض الباحثين وبخاصة الرحالة هرتسفيلد تحديد تاريخها ، حيث تمكن بعد الدراسة الواصفة لزخارفها وما يماثلها من زخارف أخرى في الابنية العراقية المؤرخة كجامع الاربعين في تكريت وقبة امام الدور شمال سامراء ، حيث ان الحلية الزخرفية الجصية التي تحتويها

---

(١٧) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ص ٢٥٢ ، حوادث سنة ٤٩٧هـ طبع ابريل ١٨٦٤ .

(١٨) نفس المصدر السابق ، ج١١ ص ٦٤ ، حوادث سنة ٥٣٨هـ ، طبع بريل ١٨٦٤ .

(١٩) Bell: Amurath to Amurath, London 1911, pp. 96-97.
« بدأت المستشرقة (المس بل) في رحلتها من حلب عام ١٩٠٨ سالكة طريق الفرات المحاذي للضفة الشرقية ثم عبرته في منطقة هيت ومنها الى الاخيضر فبغداد ، واستمرت في رحلتها من بعد ذلك الى شمال العراق ، وفيه معلومات طيبة عن الاماكن التاريخية القديمة » .

(٢٠) Sarra und Herzfeld, Archaeologische Rese im Euphrat und Tigris-Gebiet, pp. 319-321, Berlin, 1920.

هذه الابنية وما تحتويه مئذنة عانه حسب ادعاء هرتسفيلد تعود الى سنة ٣٨٦ ـ ٤٨٦هـ (٩٩٦ ـ ١٠٩٦م) وهو التاريخ الذي ينسب الى بني‌عقيل الذين حكموا الموصل وأمتد نفوذهم الى جنوب الجزيرة ووادي الفرات الاوسط[٢١] .

وذهب بعض الباحثين العراقيين الى مثل ما ذهب اليه الاستاذ هرتسفيلد في تحديد زمن مئذنة عانه[٢٢] .

الا اننا لا نستطيع ان نؤيد أو ننفي هذا التاريخ ما لم تجر حفائر أثرية تحدد لنا زمن تشييد المئذنة على الوجه الصحيح ، وسيبقى تاريخ هذه المئذنة معلقا على ذمة الحفريات .

تكوين المئذنة وطرازها المعماري :

يختلف طراز مئذنة عانه عن باقي المآذن العراقية التي سبقتها في الزمن ، والتي بنيت بعدها فتصميم هذه المئذنة يختلف اختلافا كليا عنها ، حيث شيدت بشكل مثمن اعتبارا من سطح القاعدة الى قمتها ، وهي حالة شاذة ـ كما اسلفنا القول ـ بين بناء المآذن العراقية ، اذ المعروف ان المآذن العراقية جميعها مشيدة بطراز اسطواني ولم يشذ بينها ايضا الا المئذنة الملوية ومئذنة جامع أبي دلف بسامراء من منتصف القرن الثالث الهجري حيث وصلتنا هذه المآذن بطراز اسطواني مخروطي ، وكذا الحال في مئذنة عانه حيث وصلتنا بطراز مثمن على هيئة الفنار من ناحية شكلها العام ، كما ذكرت سابقا .

فمئذنة عانه تقوم على قاعدة مكعبة الشكل ذات أوجه مستطيلة قياسها (٣٤ر٥ × ١٠ر٢م) ، أما العمود الوسطي الذي ترتكز عليه سلالم المئذنة فانه مثمن الشكل محيطه (٢٠ر٣م) أي ان قياس كل ضلع من أضلاعه ٤٠سم ، (انظر الشكل ١) ، ويلاحظ في هذه المخططة ان مدخل المئذنة يقع في منتصف الضلع الجنوبية منها .

وهدى البحث الاثري ان المئذنة تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من المسجد الذي ما زالت أبعاده غامضة وخاضعة للكشف الاثري ، (الشكل ٣) .

ويقوم على هذه القاعدة المكعبة بدن منشوري مثمن الشكل ، يتألف كل وجه من أوجه المئذنة من ثمانية طوابق بعضها فوق البعض الآخر (أنظر الشكل ٤) وتزين هذه الطوابق طاقات أو عقود داخل اطارات مستطيلة ، بعضها مزدوج وبعضها منفرد تنتهي من الاعلى بعقد منفوخ أو مفصص ويرتكز أحيانا كل عقد على عمودين في جوانب الاطار أو عند الوسط على غرار المشاكي المعثور عليها في جدران قبة جامع الاربعين في تكريت (من القرن السادس الهجري) ، وتتخلل بعض هذه العقود نوافذ صغيرة لانارة سلم أو درج المئذنة ، ويبلغ عدد هذه العقود جميعها ٧٢ عقدا .

---

(٢١) Sarra und Herzfeld, Archaeologische Rise im Euphrat und Tigris-Gebeit, pp. 319-321, Berlin, 1920.

(٢٢) طه باقر وفؤاد سفر : المرشد الى مواطن الاثار والحضارة ، الرحلة الاولى ، ص ٢٣ الدكتور عبدالعزيز حميد : سومر ، مجلد ٢١ ، ١٩٦٥ ، ص ١٣٧ـ١٣٨ .

وتستدق المئذنة من الاعلى وتنتهي بطابق مثمن على غرار بدنها وينتهي بقمة شبه مدببة ، ولهذا الجزء نوافذ صغيرة في جهاته الاربع بهيئة مستطيل ينتهي من الاعلى بعقد منفوخ • ويظهر من الشكل المتقدم ذكره ان المئذنة ربما كانت تنتهي في الاعلى بشرفة لوقوف المؤذن في المسافة المتبقية ما بين نهاية البدن المنشوري والطابق الاعلى ، ويحتمل انهذه الشرفة كانت ثمانية الشكل ومزينة من الخارج بنقوش من الجص على ما أبلغني به شيوخ أهل المنطقة ، وقد سقطت هذه الشرفة منذ مدة ليست بالبعيدة بسبب الاحوال الجويّة أو لاسباب معمارية خاصة يصعب تحديدها ، ومع ذلك فان موضوع الشرفة مازال معلقا لا يمكن البت فيه جزما أو قطعا • ومئذنة عانه بعد ذلك تشبه من ناحية التصميم العام برج محمود في غزنة بايران الذي يرجع تاريخه الى (٤٢١هـ - ١٠٣٠م)[٢٣] ، حيث يتألف من قاعدة مثمنة يقوم عليها بدن منشوري على غرارها ولم يختلف هذا البرج من الناحية المعمارية سوى ان اوجه البدن فيه غائرة الى الداخل قليلا بهيئة زاوية منفرجة ، ويحتوي كل وجه منه على زخرفة آجرية مقسمة الى خمسة أقسام أو طوابق ، وتتألف زخرفة كل وجه من زخرفة آجرية مرصوفة بطريقة هندسية بما يشبه نسيج الحصير ، يعلوها في الطابق الرابع زخرفة بالكتابة الكوفية وينتهي البرج في الاعلى بقمة ثمانية الشكل ثم تستدق عند الوسط بهيئة مخروط مدبب الرأس ، وهذا هو الخلاف الواقع بين مئذنة عانه وبرج محمود في غزنة •

وتشبه مئذنة عانه كذلك مئذنة مسجد الخليلية الواقع على مسافة ثمانية كيلومترات الى الشرق من مدينة عانه على الضفة اليسرى من نهر الفرات ، وسنبحث ذلك فيما بعد •

سلم المئذنة :

وأما سلم مئذنة عانه فيقع في باطنها بهيئة حلزون يرتكز على عمود وسطي طوله ٢٠ مترا تقريبا أي بارتفاع بدنها المنشوري ، وشكل هذا العمود منشوري أيضا يتراوح عرض ضلعه من القاعدة (٤٠سم) وفي الاعلى (٣٠سم) ، ويبلغ عدد الدرجات فيه (٨١ درجة) تؤدي جميعها الى أعلى أو الى شرفة المئذنة - ، ذلك هو التكوين العام لمئذنة عانه كما هي عليه اليوم •

(٤) اعمال الصيانة الاثرية :

بالنظر لاهمية مئذنة عانه من الناحية التاريخية والاثرية ، حاولت مديرية الآثار العامة في السنين الماضية صيانة واعمار هذه المئذنة ، حيث حاولت اعادة وترميم أجزائها المتساقطة من القاعدة الى القمة •

أما القاعدة فقد رممت في عام ١٩٣٥ وكان الترميم رديئا لا يناسب شكل المئذنة (أنظر شكل ٥) مما اضطرت المديرية المذكورة عام ١٩٦٣ و١٩٦٤ الى ازالة هذا الترميم والقيام بحفائر حول المئذنة لاستظهار شكل القاعدة الاصلي ، حيث ظهر بشكل مكعب ذي أوجه مستطيلة ينحسر من الاعلى فيؤلف قاعدة مثمنة

(1) Pope; A Survey of Persian Art, vol. IV, page 355. (٢٣)

يقوم عليها البدن المنشوري المذكور آنفا ، وقامت هيئة الصيانة[٢٤] بتنظيف بدنها الى القمة ، ثم باشرت بنفس مواد البناء الحجر والجص بترميم وتقوية قاعدتها الى ارتفاع (١٠ر٢م) ، وبالسمنت المانع للاملاح واكسائها بالجص ، ولم يظهر في القاعدة أثناء ترميمها أي زخرفة تذكر ، ربما كانت القاعدة غفل منها .

أما البدن المنشوري فأعيد الى ما كان عليه وعلى ما تبقى من زخارفه وعقوده بالجص ، وتم اصلاح الزخرفة واعادة ما سقط من العقود والاعمدة والاطارات المستطيلة ، وفتحات النوافذ واعادتها الى ما كانت عليه الى القمة (أنظر الشكل ٦) ، الا ان الهيئة لم تتمكن من اعادة الشرفة الاصلية للمئذنة بل حاولت تقوية بقاياها خشية الهدم والتخريب الذي قد يقع مستقبلا .

وشملت أعمال الصيانة الاثرية أيضا باطن المئذنة ، حيث أصلح السلم وما حوله جهد الامكان

ومن الجدير ذكره ان المسجد الذي تتبع اليه مئذنة عانه مازال خاضعا للكشف الاثري ، حيث تضم أرضه مقبرة اسلامية حديثة .

(٥) مسجد الخليلية ومئذنته المثمنة :

ومن آثار عانه الاسلامية المتخلفة فيها وما زالت خرائبها قائمة الى اليوم مسجد الخليلية ومئذنته المثمنة .

يقع هذا المسجد على وجه التحديد قرب الضفة اليسرى لنهر الفرات على مسافة «٨» كيلو مترات تقريبا الى الجنوب الشرقي من مدينة عانه ، ومن المحتمل ان منطقة الخليلية هذه ربما تعود الى عانه أو قد تكون امتدادا لها على الضفة المقابلة من الفرات ، اذ انها امتداد في السكن لجزيرة (تلبيس) حيث كانت هذه الجزيرة موقعا حصينا ومهما في العصور القديمة والاسلامية[٢٥] .

ومما يؤسف له انه لم يصلنا من المراجع التاريخية أو الجغرافية ذكر لموضع الخليلية أو

---

(٢٤) كانت هيئة الصيانة مؤلفة من كاتب المقال رئيسا وعضوية كل من السادة المرحوم الحاج عمر الراوي وخليل قبطان وقاسم خليل.

(٢٥) تلبيس : جزيرة في الفرات واقعة على مسافة ٦٥كم الى الشمال الغربي من الحديثة أو بنحو ١٤كم الى الجنوب من بلدة عانه ، وكانت هذه الجزيرة محصنة في العصور القديمة وورد ذكرها في الكتابات المسمارية بصيغة « تلمش » و « تلبش » . كما جاء ذلك في حملة توكولتي نينورتا الثاني (٨٨٩-٨٨٤ ق.م.) حيث كانت المرحلة السادسة والعشرين في موضع اسمه (سورى) مقابل جزيرة تلبش أو تلمش، والجدير بالذكر انه توجد الان خرائب أثرية قريبة من جزيرة تلبيس تعرف باسم « سور » اما المرحلة الخامسة والعشرون من رحلة هذا الملك الاشورى فقد كانت في موضع اسمه « سبرتي » الذى يرجح الان انه جزيرة « السواري » الواقعة بمسافة ٢٢ كم جنوب تلبيس .

وقد اشتهرت تلبيس في الازمنة الهلنستية وذكرها اسيدور الكرخي فى المنازل الفرثية باسم « تلابس » وقال عنها انها جزيرة في الفرات فيها كنز للفرثيين ، كما ذكرت في حملة جوليان ولا سيما حصنها المنيع الذى مكن اهلها من مقاومة جوليان فلم يستطع فتحها ، ولا تزال تشاهد في الجزيرة بقايا حصون مشيدة بالحجارة ولا سيما في القسم الشمالي منها ، وقد ذكرها البلاذري ولا سيما في فتوح عمير بن سعد بعد فتحه رأس العين (عام ٢٢هـ/٦٤٢) ، وانه ذهب من هناك وفتح جميع الحصون في جزر الفرات قبل تلبيس وعانه وآلوسة وناووسة وهيت .

(المرشد الى مواطن الاثار - الرحلة الاولى - ص ١٩-٢٠) .

مسجدها وربما انها ذكرت بغير هذا الاسم ، أما التسمية الحالية فحديثة ربما عرفت تيمنا باسم ابراهيم الخليل كما هو الحال في هذه التسميات في بعض المواضع في منطقة الكوفة ، حيث يذكر اسم ابراهيم الخليل على المحاريب القائمة في مسجد الكوفة ، ومع هذا فان تسمية الموقع باسم الخليلية ما زال معلقا على ذمة الحفائر الاثرية .

ومما يلاحظ في هذا الموقع ان مسجد الخليلية ومئذنته يقعان على ضفة الفرات اليسرى مباشرة بمسافة تقرب من مئة متر وتنتشر جملة آكام وخرائب حول المئذنة ومسجدها من ناحية الشرق والغرب مما يدل دلالة واضحة على ان الموقع كان مستوطنا كبيرا يعود الى عصور اسلامية كما دلت بعض اللقى الاثرية المنتشرة على السطح . وما تزال بعض الاسس وبقايا جدران مشيدة بكسر من الحجر غير المهندم والجص ظاهرة في الموقع ، وقد حاولنا جهد الطاقة رسم مخطط كامل لبقايا المسجد بمعونة الاستاذ فؤاد سفر مفتش التنقيبات العام في مديرية الآثار العامة ، وكذلك تسجيل بعض الصور لبقايا المئذنة العائدة اليه (الشكل ٧)، وسنحاول دراسة هذا المسجد كما يدل عليه مظهره الآن .

لم يصلنا من نصوص المؤرخين أو الرحالة العرب أو الرحالة الاجانب ذكر لمسجد الخليلية ، وسنحاول دراسته وتخطيطه من الناحية الاثرية في ضوء ماتوصلنا اليه أثناء عملنا في صيانة الابنية الاثرية الاسلامية في هذه المنطقة .

المسجد بشكله العام يرتسم على أرض مستطيلة الشكل تقريبا ، طول ضلعه الشرقي (١٧م) والشمالي (٨٠ر١٠م) وطول ضلعه الغربي (١٠ر١١م) وينحرف هذا الضلع بزاوية قائمة الى الناحية الشرقية بمقدار (٠٥ر٣ مترا) فيؤلف قاعدة المئذنة ثم ينحرف بزاوية قائمة أخرى نحو الجنوب (أي نحو جدار القبلة) بطول (٣٥ر٦ مترا) وفي المخططة التي بين أيدينا تبين لنا تخطيط هذا المسجد على ما هو عليه الآن (الشكل ٢) .

جدار القبلة (الضلع الجنوبية) ويضم بقايا محراب يقع في منتصفه تماما ، وعرضه (٨٢ سنتيمترا) وعمقه (٠٣ر١ مترا) بهيئة نصف بيضوي .

وارتفاع بقايا جدران المسجد الاربعة تتراوح بين ٣٠سم و٦٠سم وسمكها ٣٣سم ، أما مدخله فيقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد ويبلغ عرضه ٨٦سم .

وتدل بقايا العقود المتساقطة في بيت الصلاة انه كان معقودا بكسر الحجر والجص ، وقد سقط هذا السقف نتيجة لعوارض طبيعية خاصة يصعب تحديدها ، أو انه سقط بسبب هجرة السكان عن هذه المنطقة كما يلاحظ أيضا وجود بقايا جدار يتوسط أرض المسجد ربما كانت بمثابة الظلة أو الصفة أمام بيت الصلاة ثم اضيفت اليه توسيعا له .

وكان بيت الصلاة كما تدل البقايا الاثرية يضم رواقين ، ويبدو ان المسجد قد توسع فيما بعد فاضيفت الى قسمه الشمالي ساحة مربعة طول ضلعها (١٠ × ٨٠ر١٠ مترا) ويبدو ان هذه الزيادة استحدثت بالضرورة لكثرة المصلين في هذا المسجد .

أما المدخل فيقع في هذه الزيادة في الزاوية الجنوبية الغربية كما أسلفنا ، وما زالت بقايا هذه الزيادة ماثلة الى اليوم بارتفاع يتراوح بين (٢٠ و٥٠سم) .

مئذنة مسجد الخليلية :

ولمسجد الخليلية مئذنة مازالت بقاياها ماثلة الى الآن ، وتقع هذه المئذنة في الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد وتحتل طرفا صغيرا منها ، ولوحظ ان المئذنة والزيادة قد شيدتا في زمن واحد . اما تكوينها المعماري ، فمئذنة الخليلية مشيدة بكسر الحجر على غرار مئذنة عانه المتقدم ذكرها ، وتتألف من قاعدة مثمنة طول كل ضلع منها (١٫٢٥ مترا) أي ان محيطها حوالي (١٠) أمتار ، ويحيط بقاعدتها من الخارج غلاف بهيئة مكعب ارتفاعه (١٫٥٠ مترا) وطول ضلعيه (٣٫٣٠ × ٣٫٠٥ مترا) ، ويرتفع على هذه القاعدة بدن المئذنة المثمن ويتألف كل وجه من أوجه هذا المثمن من مستطيلات بهيئة مشاكي غير نافذة ، في داخلها عقود نصف دائرية ، وعقود أخرى نصف دائرية أيضا يبرز من أعلى منتصفها تدبب صغير بهيئة مثلث (أنظر شكل ٨) ، وقد غُلفت هذه العقود والاطارات المحيطة بها بالجص . وتنتظم هذه المشاكي بالتناظر وتغطي جميع البدن ، ويتخلل بعضها عند الوسط نوافذ صغيرة مستطيلة الشكل الغرض منها انارة السلم الداخلي . ومما تجدر الاشارة اليه ان المئذنة قد أصابها خراب كبير بحيث لم يصلنا منها الا قشرة قائمة بارتفاع (٤٥٫٦ مترا) . ربما كانت هذه المئذنة في الأصل اعلى من هذا الارتفاع ، وعند مقارنة هذه المئذنة بمئذنة عانه نجد ان تصميمها العام لا يختلف كثيرا عنها ، بل يشابهها ، ولربما كانت تنتهي بشرفة مثمنة الشكل أيضا على غرار البدن المثمن لوقوف المؤذن وتنتهي بقمة على غرار قمة مئذنة عانه .

السلّم :

الواقع ان سلم مئذنة الخليلية يقع في باطنها من الداخل على هيئة عمود مربع الشكل طول ضلعه (٤٤سم) ويدور عليه سلم حلزوني أو لولبي على غرار سلم مئذنة عنه ، ولم يبق منه الا بقايا قليلة لا تتجاوز عشرة درجات ، وقد تهدم أو تخرب بعضها (شكل ٩) .

أما مدخل المئذنة فيقع في القسم الشرقي من القاعدة ، ضمن أرض زيادة المسجد ، وعرض هذا المدخل (٨٨سم) .

والمسجد بصورة عامة بحاجة الى حفائر اثرية لاستظهار شكله بصورة أدق ، وكذلك المئذنة فانها بحاجة ماسة الى ترميم وصيانة(*) .

(*) اسجل شكري للدكتور كاظم الجنابي مدير الابحاث الاسلامية لاشرافه على اعداد هذا البحث .

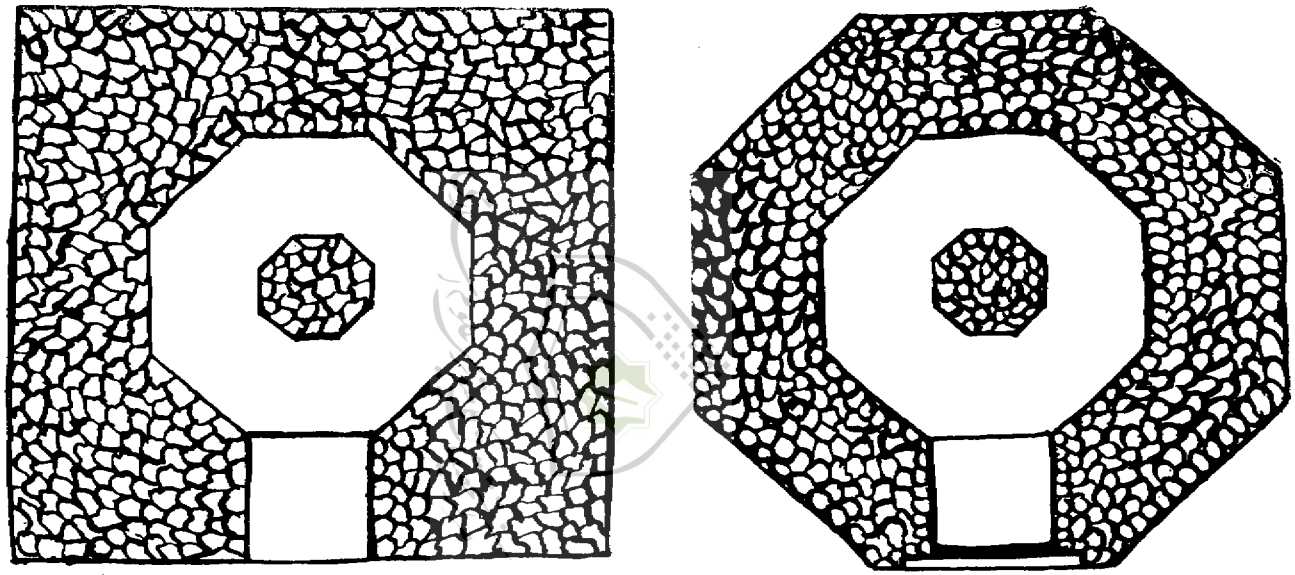

الشكل ـ ١ ـ

مخطط قاعدة مئذنة عانة الاثرية (عن هرتسفيلد)

مخطط قاعدة مئذنة عانة الاثرية
كما اظهرته اعمال التحريات الاثرية

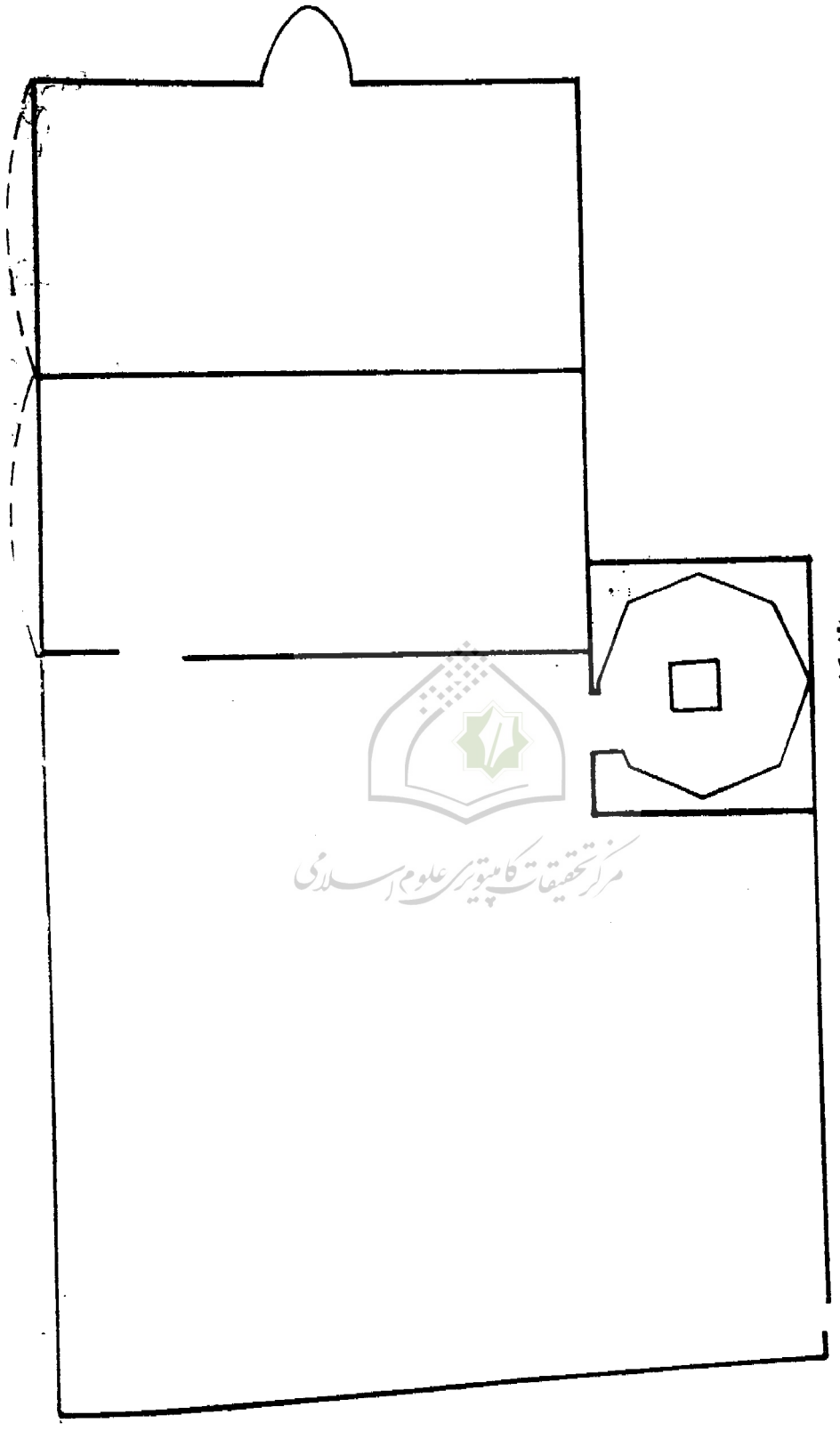

الشكل – ٢ –

مخطط مسجد الخليلية ومئذنته المثمنة القياس ١/١٠٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی